المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: دور المؤسسات التعليمية العراقية الحكومية والاهلية في تعزيز حوار الثقافات في المجتمع العراقي
اسم الكاتب: أ.د. ناظم عبد الواحد الجاسور
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2028
تاريخ الاسترداد: 2025/05/05 08:36 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

دور المؤسسات التعليمية العراقية الحكومية والاهلية في تعزيز حوار الثقافات في المجتمع العراقي

الاستاذ

الدكتور

ناظم عبد الواحد

الجاسور(*)

المقدمة

ليس هناك من دور فعال يمكن ان تلعبه أي مؤسسة من مؤسسات النظام السياسي في اشاعة وتعزيز حوار الثقافات في المجتمع، وترسيخها كسلوك يومي في التعامل مع الاخر، والاعتراف بحقوقه الإنسانية، غير المؤسسات التعليمية، سواء أكانت حكومية ام اهلية، وذلك لكونها تضطلع بمهمة أخلاقية وتربوية في الوقت نفسه وتمثل منظومة متكاملة الحلقات تبدأ برياض الأطفال وحتى المراحل الجامعية.

ان كل مرحلة تمهد للمرحلة الآتية وتعد لها، الامر الذي يتطلب ان نجعل من هذه المؤسسات ليس فقط اطرا محددة للتعليم وفق اسسه التقليدية، وانما ينبوع ومنبر للثقافة الأصيلة التي ما هي الا "أنموذج كلي لسلوك الإنسان ومنتجاته المتجسدة في الكلمات والأفعال وما تصنعه يداه، وتعتمد على قدرة الإنسان على التعلم ونقل المعرفة للأجيال التالية".

فالمهمة اذا هي ليس فقط حشو فكر الفرد بمفردات، ومقررات تعليمية مجردة وبشكل سطحي، وانما الاهتمام بدراسة السلوك الإنساني في ماضيه وحاضره، وخلق انماط متميزة من الوعي والسلوك ومنظومات القيم وقواعد اجتماعية وعقلية تساهم في تعزيز الحوار مع الآخر، المختلف في ثقافته وأنساقه الحضارية: من معتقدات، وعادات، وحتى في طرائق التفكير والسلوك.

(*)عميد كلية العلوم السياسية- الجامعة المستنصرية.

وينبوعنا العربي–الإسلامي ينبوع صاف معطاء بفكره ومعتقده واخلاقه ومنظوماته القيمية التي شددت على قيم التسامح والاعتراف بالاختلاف واحترام آراء ومعتقدات الآخر. وان ذلك كله يشكل نبراسا واسسا راسخة تستند اليها المؤسسات التعليمية الحكومية والاهلية في ارساء ثقافة للحوار ولغة التسامح والتعايش المشترك. وهذه المهمة تبدو حتمية اليوم وضرورية جدا، ليس فقط لما عاشه العراق خلال فترة قصيرة جدا من عنف طائفي وتمزق نسيجه الاجتماعي، وبروز ظاهر غريبة وشاذة في التمحور والاصطفاف، وحتى انعكس سلبا على تولي المناصب الجامعية، وانما ما تعانيه ايضا الامة العربية والاسلامية من تمزق داخلي نتيجة للحروب الاهلية والطائفية والتسلط والاستئثار والغاء الآخر واقصاءه، بفعل عوامل داخلية وخارجية وما وصلت اليه صورة العربي المسلم الى درجة من التشويه وقدمت في وسائل الاعلام بـ"صورة الارهابي، القاتل، المتوحش" حتى وصلت الاساءة الى مقام الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، في عدد من الدول الاوروبية.

كما ان ظاهرة انخراط اعداد كبيرة من الشباب المغرر بهم في تنظيمات وتجمعات تكفيرية ارهابية، هدفها القتل وتدمير التراث الانساني والحضاري، وتحت مسميات مختلفة ومتسترة بغطاء ديني وفتاوى ضالة، جعلت من الضروري جدا اعادة النظر بمناهجنا واساليبنا التعليمية، اولا: لانقاذ انفسنا من طوفان هذه الظاهرة وانفلاتها قبل فوات الاوان، ثانيا محاولة فك الارتباط (الاعلامي والفكري–الاستشراقي الغربي) ما بين الاعمال الارهابية التي تقوم بها جماعات ضالة بريء منها الاسلام والمسلمين، وتقديم الصورة الحقيقة للاسلام المحمدي في روحه وتعاليمه السمحاء) الذي اول من ارسى ثقافة الحوار مع الآخر المختلف عقائديا، متسلحا بما انزل عليه الوحي في قوله تعالى: "انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل". وفي قوله تعالى عز وجل : ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد".

وبناء على ما تقدم، وبغية تسليط الضوء على دور المؤسسات التعليمية الحكومية والاهلية في نشر وتعزيز حوار الثقافات في المجتمع العراقي، وضمن اطار

مفردات حقوق الانسان والحريات العامة والديمقراطية، فان ورقتنا ترتكز على عدد من النقاط الاتية:

اولا: ما هو المقصود بالثقافة والحوار؟ وما هي اشكالية العلاقة بينهما:

ثانيا- دور المؤسسات التعليمية في نشر وتعزيز حوار الثقافات في المجتمع

-- دور المؤسسات التعليمية الحكومية

- دور الجامعة في نشر وتعزيز حوار الثقافات

- ور المؤسسات التعليمية الاهلية (او التعليم الخاص)

ثالثا : التوصيات

اولا : الثقافة والحوار

من المنهجية، وقبل الدخول في تسليط الضوء على ثقافة الحوار التي يجب ان تنغرس في عقلية الناشئة، ومنذ اول مرحلة تعليمية للفرد، لا بد من مناقشة وتفكيك هذا المفهوم والمرجعية التي يستند إليها، ومن خلال الأسئلة الاتية:

- ماهو المقصود بالثقافة والحوار
- وما هي إشكالية العلاقة بينهما-

- ما هي الثقافة:

في الواقع، لقد طرحت في الادبيات العربية العديد من التعريفات الخاصة بالثقافة، وكل يتناولها من الزاوية التي يستطيع من خلالها حل اشكالية البحث الذي يعرضه، مع تأكيد مفهوم الثقافة ومقارنتها بالحضارات (او الثقافات) الآخرى. حتى ان بعضهم لم يجد مناصا من الاستناد الى المرجعيات الغربية، ولاسيما اولئك الانثربولوجيين الذين اختصوا بهذه الجوانب المهمة من التطور الانساني . فالثقافة اذا كانت هي الكل المعقد المتشابك في الانظمة التي تتضمن اساليب الحياة المادية والروحية ، فهي تتولد من عملية انتاج الوجود الجماعي بوصفه وجودا اجتماعيا، ومن

---

[1] ينظر فاروق مصطفى اسماعيل، الانثروبولوجيا الثقافية، القاهرة الهيئة المصرية للكتاب ، وكذلك محمد احمد بيضون، الانثروبولوجيا الثقافية، القاهرة

[2] صلاح قنصوة، مشكلة الثقافة العربية ، الصراع والحل، مجلة اليقظة العربية، القاهرة، العدد الخامس

خلال هذه العملية تخلق الجماعات ((انماطا متميزة من الوعي والسلوك ومنظومات قيم وقواعد اجتماعية وعقلية مرتبطة بالحقبة والبيئة والظروف العامة بتشكلها وتصبح هذه الانماط بذاتها بنية مستقله داخل البناء الاجتماعي تؤثر فيه وتتأثر به)) .

وبناء على ذلك، ومن خلال الدور الذي تضطلع به في التطور الاجتماعي فالثقافة هي نسق يتميز بالانسجام الداخلي العميق ويتمتع باستقلال نسبي عن بقية الانساق ويتفاعل معها ويوحدها عن طريق توحيد الانماط الفعلية التي تحكمها ، وبقيامها بالوظائف المعيارية والرمزية التي من خلالها تقوم بتكوين الفعل وتحديد كيفية استيعابه للواقع . فهي تشكل اساس الوجود الاجتماعي، وهي عملية تاريخية مستمرة تنتج وحدة الجماعة او استمرارها في الوعي. فالثقافة بوجه التحديد هي انتاج الذات المادية للمجتمع، أي القدرة على النمو، والتواصل ضمن صيرورة التطور الحضاري للانسانية وتفاعلاتها في التأثير والتأثر.

ويرى المفكر العربي محمد عابد الجابري في الثقافة بأنها ((ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والابداعات التي تحتفظ الجماعة البشرية بهويتها الحضارية من خلال ما تعرفه من تصورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والاخذ والعطاء)) .

واذ يعترف الجابري بان مفهوم الثقافة يعد واحدا من تلك المفاهيم المطاطة المعرضة دوما للغموض والالتباس، من جراء اختلاف استعمالها وتباين المعاني المقصود منها، كما اكدنا في البداية، فانه يشير الى ان معاجمنا لا تعطينا عن اصل هذه الكلمة ومشتقاتها الا هاتين الدلالتين او ما يشبههما: يقال ثقف الولد، اذ صار حاذقا.. وثقف الكلام: حذقه وفهمه بسرعة)). ويقال كذلك: ثقف الرمح اذا قومه وسواه)) مضيفا بان معنى الثقافة عند اجدادنا العرب كان: الحذق والذكاء وسرعة الفهم، فهي تشير من هذه الناحية خصلة عقلية وليست مفهوما مجردا . ويؤكد بان هذا المعنى الذي جاء به العرب لمفهوم الثقافة قريب لكلمة ((Culture)) في الفرنسية

---

[3] عزيز حيدر، أثر التفاعل الثقافي على الهوية الوطنية القومية للفلسطينيين في اسرائيل، مجلة دراسات عربية، بيروت الطليعة، العدد / تشرين الثاني – كانون الاول - /

[4] محمد عابد الجابري ، الثقافة العربية والاستقلال الثقافي ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت العدد ( ) -)

[5] محمد عابد الجابري ، المسألة الثقافية في الوطن العربي منذ الخمسينات ، مجلة المستقبل العربي العدد) ( )
-

واللفظات الاوروبية التي طورت مفهوما ابتدأ معنى مجازيا وهو "تنمية بعض القدرات العقلية بالتدريب والمران، ثم تطور الى كونها : مجموع المعارف المكتسبة التي تمكن من تنمية روح النقد والقدرة على الحكم السليم والمحاكمة الصحيحة .

وهناك من يرى في الثقافة بانها نظرة عامة الى الوجود والحياة والانسان، وقد تتجسد في عقيدة او تعبير فني او مذهب فكري او مبادئ تشريعية او مسلك اخلاقي عملي، وهي البناء العلوي للمجتمع الذي يتالف من الدين والفلسفة والفن والتشريع والقيم باختلاف التجارب والخبرات والمواقف لدى أي شعب من الشعوب والامم الاخرى. واذا كان ادوارد تايلر Taylor الاب الحقيقي لمفهوم الثقافة، حيث عرفها بانها ((مركب يتضمن جميع المعارف والعقائد والفنون والقوانيين والتقاليد وجميع التنظيمات والعقائد المكتسبة من طرف الانسان كعضو في المجتمع))[6]. فان لنتون Linton يرى ان الثقافة "تنظيم للسلوك المكتسب ولنتائج ذلك السلوك ،يشترك في مكوناتها الجزئية افراد مجتمع معين، وتنتقل عبر هؤلاء" .

وهناك من يطرح مفهوما للثقافة متضمنة اربعة عناصر اساسية هي:

.- عناصر معرفية، وتشمل المعارف والمعلومات التي جمعها اعضاء ثقافة معينة.
- نسق للمعتقدات، ويشمل على كم من الافكار والعلاقات.
- نسق للقيم والمعايير ويشمل على المفاهيم والتصورات التي تساعد الفرد على ترتيب الاشياء المادية وغير المادية في علاقاتها ببعضها.
- عناصر رمزية وتشمل مختلف وسائل الاتصال واهمها اللغة .

وعليه، فان هذه العناصر التي يضمها مفهوم الثقافة نجدها تشكل الجوهر الاساسي للثقافة العربية، على الرغم من التعدد في النظم السياسية واختلافاتها في نوعية الحكم ، وكيفية ممارسة السلطة وانتقالها، الا انها لا يمكن ان تحول دون تركز

---

[6] المصدر نفسه ، ص

[7] محمد فوزي ، الثقافة العربية وثورة المعلومات ، قراءة نقدية ، مجلة شؤون عربية ، القاهرة العدد ربيع ، وبصدد المفهوم الاصطلاحي للحضارة – الثقافة ينظر ناظم عبد الواحد الجاسور ، الفكر السياسي الامريكي المعاصر وصراع الحضارات ، مركز زايد للتنيسق والمتابعة ، ابو ظبي

[8] محمد عابد الجابري ، الثقافة العربية من الاستقلال ، مصدر سبق ذكره ص ص –

[9] مصطفى عمر التنير ، الثقافة العربية والغزو الثقافي ، مجلة شؤون عربية ، القاهرة ، العدد /

هذه العناصر في الثقافة الواحدة: بلغتها العربية ومعتقداتها الاسلامية وقيمها السلوكية والمعرفية وتصوراتها الخاصة فيما يتعلق بالوجود الانساني والتطور الحضاري .

ومن هنا، فان الاستاذ علي أومليل ازاء التحولات التي شهدها العالم، والتي لم يعرفها من قبل، دعا المثقف العربي المعاصر الى اعتناق مفهوم جديد للثقافة، وربطها بالتنمية والديمقراطية، منطلقا من ضرورة تحديث الثقافة العربية حتى تكون قيمها مساعدة على التنمية والديمقراطية والانفتاح او الحوار مع الآخر وثقافته لان ذلك هو الكفيل بتكوين الرأسمال الانساني الذي به وحده نستطيع المنافسة في عالم سريع التطور، وهذا لا يتم، حسب رأيه الا عن طريق الاصلاح، وحوار الثقافة العربية مع غيرها من الثقافات خاصة الثقافة الغربية .

ومن هنا، فان الثقافة، بمدلولها الاوسع، موجه للحياة اليومية، من خلال صياغة حركة الوعي لدى الناس وتشكيل ذاكرتهم الثقافية المستمرة التي تختزن كل افعال الثقافة وتجلياتها من الماضي الى الحاضر فالمستقبل. فانتاج الثقافة عملية مستمرة تخترق جميع الحقب التاريخية، وهي ليست موضع جدل على الاطلاق لانها نتاج عمل دائم، وهي تختزن الذاكرة الجماعية الموروثة من الماضي الفاعل والمساهم في توجيه الافراد والجماعات في الحاضر، أي ذاكرة السلف تغتني على الدوام بنتاج ثقافي جديد يساعد على عيش الحاضر وصناعة المستقبل .

/ / : ماهو الحوار؟ وماهي شروطه

لقد اضحى الحوار، وهو النقيض للصراع والخصام والنزاع، وخصوصا بعد ما شهده العالم في عقد التسعينات من تحولات جذرية في النظم الشمولية، والحروب الاهلية والطائفية بين المذاهب والاديان في يوغسلافيا السابقة والشيشان وغيرها، وما بشر له في الغرب من نظريات صراع الحضارات، ضرورة حياتية لبوغ الاهداف المشتركة في بناء عالم يسوده الامن والاستقرار، ومتبنيا للتنمية المستدامة.

---

[10] ناظم عبد الواحد الجاسور، الثقافة العربية بين الحنين للماضي وتلمس آفاق المستقبل، مجلة شؤون عربية، العدد /
/

[11] علي اومليل ، سؤال الثقافة : الثقافة العربية في عالم متحول ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، / ن عرض ابراهيم اعراب ، مجلة المستقبل العربي ، العدد / ( )) -)

[12] عبد الغني عماد ، " سوسيولوجا الثقافة : المفاهيم والاشكاليات من الحداثة الى العولمة ، " بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ، عرض مجلة المستقبل العربي ، العدد ( )))

ويكتسب الحوار في تراثنا الثقافي والحضاري معنى يدل على قيم ومبادئ هي جزء اساس في الثقافة والحضارة الاسلامية–العربية. ففي لسان العرب فالحوار هو الرجوع وهم يتحاورون، أي يتراجعون الكلام والتحاور هو التجاوب والمجاوبة والحور هو الرجوع عن الشيء والى الشيء، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. بل انه يعد اسما من اسماء العقل في اللغة العربية، الاحور" [13].

واصبح لحوار لغة العصر، التي من خلالها يمكن حل الكثير من المشاكل لم يكن بوسع اية دولة، او حتى في الاطار الاقليمي الضيق، التصدي لها بمفردها، ولا سيما في ظل عالم "معولم" في جانبه الايجابي، وليس السلبي، حيث التنوع والاختلاف في الثقافات لم يكن شيئا جديدا، وانما هو اساس الوجود الانساني نفسه الذي خلقه الله سبحانه وتعالى من شعوب وقبائل، وان القرآن الكريم كله ذو طبيعة حوارية. لا بل ان الحقيقة الساطعة لهذا التنوع يتمثل في عدم اتفاق شخصين في هذا الوجود في بصمة ابهامهما، وليس هناك مجال لان تبرز ثقافة مهيمنة، او استعلائية. كما كان في الماضي الاستعماري ومنظري المركزية الاوروبية (الغربية) الذين روجوا لمقولة الغرب غرب والشرق شرق ومن المستحيل ان يلتقيا [14]. ووجهة النظر هذه قد تعمقت وبرزت الى سطح الاحداث بعد تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر الى درجة ان صموئيل هنتنغتون قد بشر بحروب المسلمين بدلا من الحرب الباردة، منطلقا من ان العالم يمثل ساحة قتال واسعة، لان السياسات العالمية المعاصرة هي عصر حروب المسلمين. فالمسلمون، حسب رأيه يقاتلون بعضهم بعضا ، ويقاتلون غير المسلمين [15].

يؤكد الشيخ محمود العكام بان اساس الحوار هو مراجعة ومواجهة، والمراجعة انسانية، وما دامت انسانية فهي في المعنى عبر الكلمة المنطوقة او

---

[13] عبد العزيز التويجري ، " الحوار والتفاعل الحضاري من منظور اسلامي ، " المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة ،الرباط

[14] للمزيد من الاطلاع حول المركزية الغربية (الغربية) الاوروبية ينظر ناظم عبدالواحد الجاسور ، الخلافات الامريكية – الاوروبية وتأثيرها على قضايا الامة العربية ، حقبة ما بعد الحرب الباردة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت

[15] ناظم عبدالواحد الجاسور ، المرجعية الفكرية للخطاب السياسي – الاستراتيجي الامريكي ما بعد الحادي عشر من سبتمبر ، بيروت ، دار النهضة العربي ، وينظر ايضا :

– الشيخ محمود العكام ، الحوار الثقافي في خدمة السلام ، موقع http:/aafaak .com /index .php?action =show Details&id=15

المكتوبة. والحوار ايضا فن في المراجعة والمواجهة، تراجع بينك وبين ذاتك، وتواجه الآخر بما راجعت، وبما حورت في خلدك وداخلك. ثم يضيف بان كلمة الحوار ليست مطلقة، ولا حرة من قيد يبقيها سمة انسانية لائقة، فليس القصد في الحوار ان تتكلم ولكن القصد المطلوب ان تصبر على كلام الآخر بدون تشنج او انفعال او افكار مسبقة، والحوار يعبر عن انسانية الانسان الذي خلق في احسن تقويم .

وهناك من يرى في الحوار ايضا، بانه القدرة على التفاعل المعرفي والعاطفي والسلوكي مع الآخرين، وهو ما يميز الانسان عن غيره، والذي يتم من خلال عمليتين هما: الارسال (التحدث) والاستقبال او الاستماع، ومن خلال ثلاثة مستويات للحوار:

- حوار داخلي مع النفس وبمحاسبتها وحملها على الحق.
- حوار بين افراد المجتمع الاسلامي وفق اجتهاداته المختلفة عملا بمبدأ نصف رأيك عند أخيك، ومبدأ المحافظة على وحدة الصف الاسلامي.
- حوار بين المسلم وغير المسلم، وهو حوار يجري وفق مبدأ المدافعة الذي يمنع الفساد في الارض وينمي الخير في الكون [16].

ويشير محمود السموري الى انه اذا كان الحوار والتواصل هو القدرة على التفاعل المعرفي والعاطفي والسلوكي مع الآخرين، فانه ينطلق في تحديد مستويات ثلاثة للحوار، ايضا هناك الحوار الداخلي، وحوار بين افراد المجتمع وفق اجتهاداته المختلفة، ولا يكون الحوار الا مع الآخر، وتحديدا مع الآخر المختلف، والذي لا يمكن ان يتم في معزل عن الانا. ان فهم الآخر ثم التفاهم معه لايتحققان من دون ان تتسع الانا له. ومن ثم، كلما سما الانسان وترفع عن انانيته، اوجد في ذاته مكانا ارحب للاخر. ان الحقيقة ليست في الانا، انها تتكامل مع الآخر حتى في نسبيتها. وهي لا تكتمل في اطلاقيتها الا بالله. والحوار مع الآخر اكتشاف للانا واضاءة ساطعة على الثغرات والنواقص التي لا تخلو منها شخصية انسانية [17].

---

[16] الشيخ محمود العكام ، الحوار الثقافي في خدمة السلام ، موقع http:/aafaak .com /index .php?action =show Details&id=15

[17] خالد خميس فراج ، ثقافة الحوار من منظور اسلامي ، موقع http/:www. Geocities .com / farraj /htm?200710

[18] محمد السموري ، ثقافة الحوار وشرعة الاختلاف في السلام ، موقع http:/www.diwanalarab.com/spip.php?article6564

فالاسلام يرى بان الطبيعة الانسانية ميالة بطبعها وفطرتها الى الحوار او الجدل كما يطلق عليه، وانها صفة متلازمة معه تلازم العقل به.

وبناء عليه، فان من اول شروط الحوار هي:

- عدم الغاء الآخر الذي نختلف معه.
- عدم الادعاء بأمتلاك ((الحقيقة المطلقة)).
- أحترام الرأي الآخر، والاعتراف بوجوده
- عدم اعتبار الاختلاف في الرأي والمعتقد موقفا عدائيا
- وان لكل طرف الحق في التعبير عن رأيه بحرية تامة ، حتى وان كانت تتعارض مع الرأي الآخر.
- ان لكل حضارة، او ثقافة خصوصياتها الوطنية والقومية والدينية ، الامر الذي يتطلب فهم ذلك فهما ايجابيا، ومن الذات نفسها، واعتباره امرا طبيعيا، وقدرة الهيه شاءت ان تكون كذلك ((حيث قوله تعالى: ((ولو شاء لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جمي ا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون–المائدة))، وقال عز وجل ((ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين – هود (( )).

وقد انتجت الانسانية في مشوارها الطويل، حيث المنظومات القيمية المختلفة، طرائق عديدة للحوار، ولكن ما هو جوهري في ذلك هو ان المعرفة العميقة بالقيم التي تمثلها حضارة الآخرين وعقيدتهم الدينية يمكن ان تفتح الطريق امام الحوار لحضاري، لان هذه المعرفة من شأنها ان تبين لنا اننا نشترك مع الآخرين في قيم حضارية ودينية كثيرة. وكل انسان من المنظور الاسلامي له الحق في حماية حياته وعقله ودينه وماله واسرته، بصرف النظر عن جنسه او عرقه او انتماءاته الدينية والحضارية [19]. ولكن ذلك يتطلب ضرورة التأكيد في الحوار على القواسم المشتركة. وتجنب الاختلافات العقائدية التي لا حائل من وراء اثارتها والاشتغال بها.

---

[19] نظر محمود حميدي زقزوق ، الاسلام وقضايا الحوار ، ترجمة مصطفى ماهر ، سلسلة الفكر ، القاهرة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، : ((: (

[20] المصدر نفسه ، ص

ويؤكد الدكتور عبد العزيز التويجري بانه ما دام الحوار الراقي هو مظهر حضاري يعكس تطور المجتمع ونضج فئاته الواعية، فانه لا بد ان يستند الى اسس ثابتة وضوابط محكمة، وان يقوم على منطلقات اساس هي :

- الاحترام المتبادل ، وطبقا للاية الكرية في سورة الانعام، حيث قال عز وجل: "ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم".
- "- الانصاف والعدل، في قوله تعالى: "اعدلوا هو اقرب للتقوى".
- نبذ التعصب والكراهية ، حيث قوله تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين".

/ / أشكالية العلاقة ما بين الثقافة والحوار:

اذا كان للحوار مستويات ثلاثة يرتكز عليها، فان من بين هذه المستويات هو الحوار مع الاخر المختلف معه ثقافيا ، أي في الدين والمذهب والمعتقد، واللغة والقيم. ولان العيش المشترك سواء في نطاقه الضيق الوطني العراقي الذي يمتاز بتنوعه الثقافي والطائفي والاثني، او الشامل على سطح هذا الكوكب، يتطلب ليس فقط مواجهة التحديات المشتركة، وانما قبل ذلك ايجاد ارضية للتعاون والاحترام المتبادل، وهذا لا يمكن تحقيقه الا من خلال غرس ثقافة حوارية متقدمة تتجاوز كل الاختلاف، وتؤمن بهذا التنوع، والتعدد. والتأسيس لثقافة الحوار تبدو مسألة حتمية، خصوصا بعد ان برزت افكار وطروحات تدعو الى التفرقة في المذهب والطائفة والقومية، وكذلك الى الصراع الحضاري، رافقها نزعة نحو هيمنة ثقافية وسياسية، في اطار العولمة لمحور واحد، او لقطب واحد، افضت سياسته الدولية الى نتائج سلبية، حفز ، او حرضت بالمقابل على بروز معارضة قوية لهذه الهيمنة، وتشكيل تيارات وتنظيمات اصولية متطرفة اتخذت من العنف طريقا للتفاهم مع الاخر المهيمن.

اذ سبق وان حذر الرئيس الفرنسي جاك شيراك في تموز عام من النتائج السلبية للعولمة في جانبها الثقافي خصوصا، حيث قال: "ان العولمة بحاجة الى ضبط ،لانها تنتج شروخا اجتماعية كبيرة، وهي وان كانت عامل تقدم، فهي تثير ايضا مخاطر جدية ينبغي التفكير فيها جيدا، ومن هذه المخاطر الثلاثة: اولها انها

[21] عبد العزيز التويجري ،"الحوار والتفاعل الحضاري من منظور اسلامي ، ص -

تزيد ظاهرة الاقصاء الاجتماعي، وثانيهما انها تنمي الجريمة العالمية، وثالثها انها تهدد انظمتنا الاقتصادية" .

اذ ان ما جرى في سبتمبر، دفع الكل الى اعادة النظر من هذه الطروحات، وادانة الاعمال الارهابية. لا بل الانطلاق نحو وضع برامج لتعزيز وترسيخ ثقافة الحوار بين الحضارات، لان القطيعة، والعمل على اقصاء الاخر وعدم الاعتراف بالتنوع والاختلاف. من شأنها اشاعة الفوضى والتدمير. اذ ان من مميزات العولمة الايجابية هو انها جعلت هذا العالم قرية صغيرة لا تحتمل الصراع، وحيث ان كل من العنف والارهاب لا يرتبط بثقافة معينة ولا بدين بعينه، بل له تجلياته في كل الثقافات وفي كل الاديان، اذا توفرت الظروف والعوامل المنتجه له ، الامر الذي يتطلب طرح قواعد سلوكية ترشدنا اذا اردنا ان ننخرط بفاعلية في عملية الحوار مع اتباع الديانات، ومن بينها، كما يشير الامير الحسن بن طلال، التأكيد على اهمية التوافق بين المعتقدات الدينية والجوانب العملية، والبدء بالقواسم المشتركة، والاخذ بمبدأ عدم الاكراه، واقرار حق الفرد في اعلان دينه، واعادة النظر في محتوى مناهج التربية والتعليم .

فثقافة الحوار تكشف الى أي مدى كانت طروحات ((الصراعات الحضارية))) ((المركزية الاوروبية))، بعيدة عن الواقع، وطرحت لاغراض سياسية) والى أي مدى تكشف عن المضامين المشتركة بين الثقافات او الحضارات القائمة، والاديان المتنوعة، وما حدث بينها من صدام وصراع في القرون الماضية، فان ذلك مرجعه لطبيعة المصالح السياسية والاقتصادية، والتي حاولت توظيف ((المشروعية الدينية)) على ما تقوم به.

---

[22] عبد العزيز بن عثمان التويجري، " العولمة والحياة الثقافية في العالم الاسلامي، " المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، □□ "

[23] الحوار الثقافي بين الغرب والاسلام ، منتدى الحوار والتفاهم ، معهد العلاقات الخارجية ن وزارة الخارجية الالمانية ، □□

[24] الحسن بن طلال ، كلام في الحوار : روحه وأدبه وفنه ، موقع الوحدة الاسلامية www.alwihdah.com/view.php?cat=1@id=1734 وينظر ايضا للمزيد من الاطلاع : احمد بن سيف الدين تركستاني ، الحوار مع اصحاب الاديان مشروعيته وشروطه وأدابه ، موقع الالكتروني.www.minshawi.com/other/turkustany.

وفي دراسته عن "سبل نجاح حوار الثقافات في عالم متغير، يشير الدكتور عبدالله تركماني، الى ان ثقافة الحوار تستند على عدد من المبادئ وهي:

- واقع التعددية الثقافية
- تأسيس وتكريس ثقافة الحوار المنطلقة من مبادىء الحرية والديمقراطية وحقوق الانسان، والاقرار بأسس المساواة بين المتحاورين، ويتخذ من المقاربة التاريخية الثقافية منهجا ونبراسا.
- ان حوار الثقافات مشروع حياة البشرية ومستقبلها.
- الدعوة الى ثقافة اللاعنف وفتح طريق التطور السلمي، مهمة الجميع من مثقفين ورجال فكر وسياسة.
- .ود حد ادنى من المرجعية المشتركة، والدفاع عن قيم جماعية، انها قيم الحرية والعدالة والمساواة.
- احترام الاخر، ووعيا للذات واحترامها، واعتبار الاخر ليس نقيضا، وادارة الحوار بتبصر وتواضع .

واذا كانت ثقافة الحوار تحدد الارضية المشتركة والمكونة للحضارة الانسانية، فان هذه الارضية لا يمكن تشييدها الا من خلال الاعتراف المتبادل بالتقاليد المميزة للثقافات الانسانية المتعددة، ومن ثم التفاعل بين الهويات الثقافية المتعددة والتي تسمح بالتعايش بين مختلف التقاليد الحضارية، وازالة حالات سوء الادراك والصورة النمطية التي ترسمها هذه الثقافة تجاه الاخر، ومن اجل التوصل الى صياغة مجموعة متناسقة من القيم العالمية التي تأخذ باعتبارها التنوع الانساني. وهذه المهمة لا يمكن ان تضطلع بها غير المؤسسات التعليمية، الحكومية والاهلية، وهو ما توصلت اليه العديد من الدراسات والمؤتمرات من توصيات اكدت على هذه المهمة والدور الذي تلعبه هذه المؤسسات، وخصوصا ما دعا اليه نداء تونس حول الحوار بين الحضارات الذي جاء بتوصيات المؤتمر الذي عقدته المنظمة الاسلامية للتربية .لعلوم والثقافة في تونس عام ، الذي شدد على ضرورة " العمل على ادراج

---

[25] عبدالله تركماني ، سبل نجاح حوار الثقافات في عالم متغير ، موقع الكتروني -http:/www.middle-east-online.com/?id=34843

مادة تعليمية حول الحوار بين الحضارات في المناهج الدراسية في جميع مراحل التعليم، بحيث تنشأ اجيال الغد متشعبة بروح الحوار ومقتنعه برسالته".

ومشددا في ذات الوقت على ان "الحوار بين الحضارات هو تعبير عن ابرز قيم الحضارة وسمات الشخصية الاسلامية المتوازنة " وهو ضرورة حتمية وواجب اخلاقي وانسني "وشرط مؤكد للتعاون الايجابي والمثمر للتعايش السلمي والايمان بالقيم المشتركة الثابتة بين البشر" يتطلب فضلا عن التكافؤ بين الارادات والتوفر على النويا الحسنة، والاحترام المتبادل والالتزام بالاهداف التي تعزز القيم والمبادئ الانسانية التي هي القاسم المشترك بين جميع الحضارات والثقافات" .

ثانيا: دور المؤسسات التعليمية في نشر حوار الثقافات في المجتمع

لقد أكدت نظريات علم النفس التربوي من أنه ليس هناك من مهمة خطيرة وعظيمة مثل مهمة بناء الانسان عقليا وسلوكيا. واذا كانت الاسرة هي اصغر وحدة اجتماعية تضطلع بنصيب كبير في اداء هذه المهمة، فأن للمدرسة الحصة والمهمة الاعلى والاسمى والاكبر، وبشكل خاص على المربين، المعلم، المدرس واستاذ الجامعة، وفي مختلف مستويات التربية والتعليم وحتى في اطار البحث العلمي. لان هذا المربي والباحث ليس فقط ناقلا للعلم ولاعداد كبيرة من التلاميذ والطلبة، وانما الاداة الامثل لغرس القيم النبيلة في السلوك والاخلاق، وبناء شخصية الفرد تحقيقا للاهداف التربوية والاجتماعية التي يسعى اليها المجتمع، وخصوصا فيما يتعلق بثقافة الحوار التي اضحت ضرورة حياتية لبلوغ الاهداف المشتركة للانسانية.

وهذا لا يتم الا من خلال ارساء قاعدة تربوية وتعليمية تتولى انجاز هذه المهمة العظيمة، ولا سيما بعد ان اخذت الافكار التعصبية، والتكفيرية والتطرفية، مسارها الى عقول الناشئة والشباب، وتجاوزت من مجرد ((الخطب والفتاوي)) عبر الانترنيت، الى التحريض على القتل والانتحار من خلال اعمال ارهابية وفتن طائفية(

---

[26] عبد العزيز بن عثمان التويجري ، " الرصيد الثقافي المشترك وتحالف الحضارات ، " المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، المغرب – الرباط ، "

راح ضحيتها مئات الآلاف من الناس الابرياء لا لذنب اقترفوه سوى انهم ولدوا على مذهب معين او من طائفة معينة.

ومن هنا، يؤكد الاستاذ السيد يسين بأنه لا بد من سياسة تعليمية جديدة تقوم على عنصرين:

الاول، التحويل الجذري للعملية التعليمية من عملية تقوم على تلقين وتقوية الذاكرة الى عملية تقوم على الحوار والنقاش وتشجيع الابتكار. والثاني. التسامح مع الاختلاف، والحرص على التعددية، وهذا يتطلب:

- تعديلات جذرية في المناهج
- اعادة تدريب المدرسين على مبادىء الفلسفة التعليمية الابداعية.
- فتح التعليم المغلق، والغاء الحواجز والسدود التي توضع في طريق الطفل منذ عمر مبكره وتجبره على السير في مسارات محددة .

وعليه، فما هو دور المؤسسات التعليمية الحكومية وكذلك الاهلية (الخاصة) في تعزيز ونشر ثقافة الحوار ضمن اطار العملية التعليمية الشاملة في المجتمع

(- دور المؤسسات التعليمية الحكومية

من المعروف، ان المؤسسات التعليمية الحكومية هي تجسيد وترجمة عملية للفلسفة السياسية للسلطة والقابضين عليها، وذلك من خلال ما تفرضه عبر مؤسساتها التعليمية، وفي مختلف مستوياتها: من رياض الاطفال وحتى المرحلة الجامعية والعليا ايضا، من منهاج دراسية ومفردات مقررة، وحسب ما تتطلبه كل مرحلة عمرية . الا ن هذا الامر يختلف من نظام سياسي الى آخر، حيث ان التجربة التاريخية اشارت الى ان الانظمة الشمولية فرضت نمطا من التعليم والتثقيف السياسي ليس هدفه الا تمجيد الحكام واضفاء الشرعية (الايديولوجية) على سلطتهم وممارساتهم السياسية.)غرس ثقافة معينة، من خلال درس "التربية الوطنية، والثقافة القومية"، وغيرها من المسميات والمفردات التي يصبح تدريسها وتلقينها للتلاميذ والطلبة بشكل الزامي في كل المراحل الدراسية، وحتى في كل المراحل والاختصاصات الجامعية. ووصل الامر في بعض الانظمة الشمولية انها اعدت مدريسيين واساتذة مختصين من اعضاء حزب

[27] السيد يسين ، الحوار الحضاري في عصر العولمة ، سلسلة الفكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،

السلطة لتدريس هذه المواد ولا يسمح لغيرهم بتدريسها، الامر الذي افرغ هذه المواد من محتواها الجوهري، وافقد الذين يقومون بتدريسها حرية الابداع والتشويق والزمهم بنصوص جامدة لا تقبل الشرح واغلق باب السؤال والمناقشة، وتثير الاحراج والخوف احيانا.

وحتى الانظمة السياسية التي تتبنى "نظاما ليبراليا" ""علمانيا" فانها هي الآخرى تفرض وجهة نظرها الفلسفية، السياسية والاقتصادية على مؤسساتها التعليمية من خلال التكويل السنوي لميزانيات هذه المؤسسات من قبل الدولة، حتى ان دولا مثل الولايات المتحدة المعروفة بنظامها التربوي والتعليمي المستقل، فانها اضطرت عام الى تشكيل وزارة التربية والتعليم لكي توجه مؤسساتها التعليمية بالطريقة التي تتطلبها سياساتها العامة، وبالمناهج التعليمية والتربوية، وان كانت بشكل غير مباشر. وهو ما اتضح عند صدور كتاب ((أمة في خطر)) في مطلع الثمانينات الذي يؤشر مواطن الخلل والتدهور في المؤسسات التعليمية الامريكية.

وفي الواقع، فأن دور المؤسسات التعليمية الحكومية في غرس ثقافة الحوار والاعتراف بالآخر طائفيا ومذهبيا يتجلى بشكل واضح في التجارب العديدة التي اختطتها مجموعة من الدول حيث التنوع الثقافي والطائفي، ومن بينها الولايات المتحدة الأمريكية التي تعد رائدة في هذا المجال لما تمتاز به من تنوع ثقافي وطائفي ومذهبي وأثني قل نظيره، حيث يوجد في المدارس الأمريكية وفي بعض الولايات مادة تبدأ منذ الصف الاول الابتدائي تسمى مادة المناظرة وفي المرحلتي المتوسطة والثانوية تبدأ مباريات المناظرة تتسع لتشمل مدارس الولايات، وهناك جوائز وشهادات تقديرية سنوية للفائزين في هذه المناظرات التي تطرح فيها قضايا حساسة تهم المجتمع الامريكي وتتم المناقشة بحوار هادىء ومقنع، والطالب الذي يستطيع اقناع الاخرين بوجهة نظرة تنتظره جائزة تصل الى المنحة الدراسية المجانية في احدى الجامعات.

كما ان المملكة العربية السعودية التي لعبت في مجتمعها الافكار والفتاوي المتطرفة دور كبير في تخرج افواج من التنظيمات الارهابية التكفيرية، دفعت سلطاتها الى تدارك الاخطار المحدقة بها، حيث الشرخ الكبير في نسيجها الاجتماعي ما بين الاحساء والقطيف والمنطقة الشرقية عموما والاجزاء الاخرى من المملكة، هيمنة التيار السلفي المتشدد الذي بدء يكفر كل شيء مخالف لفكر ديني معين، حتى وصل

الى حد تكفير طه حسين وحرمت كتبه من القراءه في المدارس والجامعات السعودية وكذلك تحريم مشاهدة افلام الكارتون ميكي ماوس.

 ان الخطوات التي اتخذتها المملكة، ورغم المعارضة القوية من جماعات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وخطباء المساجد الذين يحرضون على "الجهاد" ضد الكفار ويفسرون الآيات القرآنية والاحاديث النبوية حسب اهدافهم التكفيرية، الا انها تجربة يمكن الاخذ بها من قبل المؤسسات التعليمية العربية لمواجهة الخلل والاهتزاز والانحراف الفكري لدى الشباب، ومنذ المراحل الدراسية الاولية وحتى الجامعية.

فقد اولت الحكومة السعودية مسألة نشر وتعزيز ثقافة الحوار اهتماما خاصا في المجتمع السعو ، منطلقة اولا من مؤسساتها التعليمية فقط اضطلع مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، بمهمة توقيع مذكرة تفاهم وعقد شراكة مع وزارة التربية والتعليم يوم الاحد شعبان الموافق سبتمبر في محافظة جدة لنشر ثقافة الحوار ومفاهيمه في المجتمع السعودي، ثقافة الحوار لا يمكن نشرها بمعزل عن موضوع التعليم، بمعنى ان ثقافة الحوار، لا بد ان تنطلق من داخل البيئة المدرسية في التعليم العام لتتعود وتتدرب عليها الاجيال القادمة، ومن ثم يصبح الحوار سلوكا تلقائيا يمارسونه في حياتهم بدون تكلف.

تشمل الاتفاقية او مذكرة التفاهم، جميع مجالات التعاون بين الطرفين التي تؤدي الى ترسيخ ثقافة الحوار وفق منهج المشاركة، ونقلها الى فئة مهمة من المجتمع وهم الطلاب والشباب، والمعلمين، والتي تهدف الى توسيع مجالات الحوار وتنميته اجتماعيا، ومن خلال التعرف على الاخر والحوار معه من اجل تعزيز قيم المحبة والتسامح في نفوس المواطنين. وحسب الخطة، فان سياسة مناهج التعليم في سنة ستتضمن فلسفة ثقافة الحوار وتطبيقها في مدرسة ابتدائية من الصف الرابع ابتدائي وحتى الاول المتوسط وتستمر التجربة لمدة ثلاث سنوت . اذ يتم تدريب معلما على اساليب الحوار والتسامح والوسطية والاعتدال. كما يتضمن المنهاج ايضا توسيع دائرة ونشر ثقافة الحوار في المجتمع السعودي من خلال عقد اللقاءات الوطنية والذهاب الى المنابر الوطنية المختلفة كالتعليم والصحة والثقافة والاعلام

[28] الموقع الالكتروني ، http:/www.ulaedu.gov.sa/print.php?id=45&action=news

والشؤون الاسلامية، وتوزيع الادوار والمسؤوليات تحديد الاختصاصات، واعداد البحوث والدراسات المسحية والتقويمية والتحليلية والاحصائية، ووضع برامج تدريبية استراتيجية لنشر ثقافة الحوار والتسامح والوسطية والاعتدال بصورة عامة، وانشاء قواعد معلومات مشتركة، ولقاءات وندوات لفئات الشباب.

وبالتأكيد، فان كل مهمة في بداية خطواتها الاولى ستواجه الرفض وعدم التقبل من بعض الاطراف والعناصر التي لا تؤمن بنشر ثقافة الحوار، وكما اعترف بذلك المسؤولون السعوديون بتلك العقبة ، الا ان ما تم تحقيقه من تدريب الف شخص يشكل خطوة متقدمة نحو تعميم هذه التجربة، حيث تم تشكيل لجنة فرعية في جدة وحدها لنشر ثقافة الحوار، والتي هدفها مد جسور التواصل بين البيئة المدرسية والمجتمع عبر قنوات الحوار المتنوعة. وقد ارسيت مشاريع التدريب المجتمعي بمنطقة الرياض والتي تهدف الى انطلاق ورشات تدريبية لاعداد مدربات معتمدات لنشر ثقافة الحوار بين طالبات وتلامذة المدارس، وتوسيع قاعدة التدريب حيث الهدف في الوصول الى اكثر من مليون طالبة في مختلف مناطق المملكة.

واذا كانت الجهود السعودية تتجه الى تعميم هذه التجربة نحو جميع مراحل التربية والتعليم، بما فيه التعليم الجامعي الذي يمثل الحاضن الطبيعي لمختلف الافكار لتيارات بمختلف اشكالها والوانها، فان حلقة النقاش حول ثقافة الحوار في مؤسسات التعليم في الدول الاعضاء لمكتب التربية العربي لدول الخليج العربي في جدة ربيع الاول –نيسان ، والتي انعقدت بهدف الوصول الى منتج تعليمي تدريسي للمعلم وللمشرف والطالب لنشر ثقافة الحوار في مؤسسات التعليم، تشكل قفزة نوعية اخرى تشمل كل دول المنطقة، حيث ان لتجربة افتتاح مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني اهداف متعددة ولا سيما وان هذه التجربة انطلقت من خلال ثلاثة محاور لنشر مفهوم الحوار، من خلال المساجد اولا ، ثم المدرسة، ثم الاسرة والمجتمع.

ان الحوار اصبح مطلبا حيويا ولم يعد خيارا في ظل النقلة التي يعيشها العالم، اضافة الى ما بدأت تدركه السلطات الامنية السعودية من ان حالات التعصب

---

[29] الموقع الالكتروني http://www.okaz.com.sa/okaz/ osf/2007059/Com20070509109579htm

[30] ايسيسكو / نواكشوط ايلول www.shohood.net

والتشدد الديني حسب فكر سلفي معين ومن خلال مناهج تعليمية متزمته واحادية الاتجاه، ومحاربة المذاهب الاخرى وحرمانها من ممارسة معتقداتها وشعائرها الدينية بحرية كافية، قد ادت الى نتائج عكسية يدفع ثمنها المجتمع السعودي الان، والتي تمثلت في انتشار فكر التطرف واتساع دائرته وتحوله الى جزء من الثقافة الدينية السعودية، وكذلك في نمو واتساع عدد وعناصر التنظيمات الارهابية المتطرفة ومن الشباب السعودي نفسه حيث انها وجدت في النظام السعودي هدفها الاخير بعد ان تم مطاردتها في اماكن اخرى في العالمين العربي والاسلامي، وخصوصا من العراق، حيث برزت ظاهرة أمنية جديدة مقلقة للسلطات السعودية اطلق عليها "العائدون من العراق" وهي الجماعات انتشرت في عدد من الدول والمناطق العربية، وشكلت تنظيات جديدة تحت اسم جند الشام، وتنظيم القاعدة في الجزيرة العربية وتنظيم القاعدة في المغرب العربي.

واذ سبق وان أكد الميثاق الاسلامي للتنوع الثقافي الذي اقرته المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايلول)، على ان التنوع الثقافي لكونه سمة رئيسية للمجتمعات الانسانية منذ نشأتها قد مكن البشرية من التطور والرقي من خلال الجمع بين هويات مختلفة تتبادل التأثير والتأثر في اطار من التعايش الانساني السمح .

– دور الجامعة في نشر و تعزيز حوار الثقافا –:

وازاء تنامي ظاهرة العنف الطائفي التي اجتاحت المجتمع العراقي ولمدة محدودة وكانت نتائجها مأساوية للغاية، والتي كانت من افرازات الغزو والاحتلال الامريكي للعراقي، اذ تم استعمال الورقة الطائفية بابشع صورها من قبل قوات الاحتلال شكلت من بين الاوراق الاخرى لاستمرار احتلاله، وجهت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية الكليات والمعاهد التابعة لها بتنظيم ندوات وحلقات نقاشية لنشر وتعزيز حوار الثقافات، وترسيخ الوحدة الوطنية، واشاعة المحبة وروح الاخوة وقيم التسامح والوحدة الوطنية والنأي عن التجاذبات السياسية ولحزبية باشكالها وانواعها كافة، والمحافظة على الحرم الجامعي من كل نشاط سياسي او حزبي او ديني، من شأنه اثارة الحساسيات والنعرات الطائفية.

---

[31] صحيفة الصباح ، بغداد / كانون الاول

ومن خلال الدراسة التي اعدها معهد السلام الامريكي، فانه اشار الى ان قطاع التعليم مرشح لان يلعب دورا مهما في التغلب على الانقسامات الطائفية في العراق وتدعيم اسس السلام الاجتماعي والاستقرار على المدى البعيد. واضاف التقرير بان الجامعات العراقية يمكنها ان تصبح ساحة لحل المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بينما ترسخ ثقافة احترام حقوق الانسان والمبادىء الديمقراطية داخل الحرم الجامعي وخارجه . اذ ان التعليم العالي يمثل قمة المنظومات التعليمية، وحجر لزاوية ليس فقط للعملية التربوية، وانما ايضا للعملية التنموية الشاملة، ويؤدي دور فاعل في صناعة القرار الثقافي والسياسي في الوقت ذاته.

ولذلك فان للجامعة مهمة حيوية مضافة الى مهماتها الاخرى في معالجة ظاهرة الانحراف الفكري، التي ترمي بثقلها في نتائجها السلبية على المجتمع. اذ تعد الجامعة أنسب مكان للحوار الجاد بين مكونات الشعب العراقي، لانها مفتوحة للجميع. ومنبع الافكار الموجه نحو المجتمع. فاذا ترسخ في الجامعة مبدأ الحوار البناء في قاعة المحاضرات، وفي الندوات والحلقات النقاشية ، امكن الانطلاق في توسيع دائرة الحوار نحو المجتمع مع توالي الاجيال المتخرجة من الجامعات العراقية.

ومن هنا جاء ادراك وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لهذا الظرف بالذات ووضعت منهاجا لاشاعة ثقافة حقوق الاسان والوحدة الوطنية واحترام الرأي والرأي الاخر وتعزيزها، لتكون الجامعات منارة للعلم والحضارة والتنوير في المجتمع. كما سبق وان عممت الوزارة قرار تدريس مادة حقوق الانسان والديمقراطية في كافة المراحل الجامعية، وفي كل الاختصاصات بدلا من مادة (الثقافة القومية) التي كانت تدرس في النظام السابق وتعبر عن فلسفة الحزب والسلطة.

وبدون شك، فان اضطلاع الجامعة بهذا الدور الحيوي يأتي من كونها اهم منابع العلوم ومصادر المعرفة، ومن ابرز مؤسسات انتاج المادة الفكرية وضبط الممارسة العلمية ، ومطالبة قبل غيرها من المؤسسات النظر الى القضايا الحساسة التي تواجه المجتمع وخصوصا ما تطرحها ظروف المرحلة الراهنة في المجتمع العراقي، وتقديم الحلول الناجعة، والمساهمة بأداء الدور الحضاري في ترسيخ قيم الوحدة الوطنية والمواطنة، والعمل على تخطيط مشروع استراتيجي ثقافي عراقي

[32] **http:/www.alwatan .com.sa/news/newsdetail.asp/issueno=2382&id=474**

للمستقبل يستند الى فلسفة تربوية تعليمية نعبرة عن الانسان المراد تخريجه وتكوينه كفرد او مجموع يؤسس لثقافة اللاعنف، والتسامح والاعتراف بالآخر طائفيا، وعرقيا ومذهبيا.

ولذا ، ولكي تستطيع الجامعة اداء الدور المطلوب لابد ان تستند مقررات التدريس على منهجية علمية في التفكير ومواكبة للعصر، وخصوصا في الكليات الانسانية، وتسليح الطالب برصيد معرفي ممنهج يتيح له الحكم على الافكار والاراء من منطلق عقلي نزيه يتسم بالموضوعية والانصاف، وسعة الاطلاع، يشكل له في النهاية مناعة معرفية ضد التعصب والافكار المنحرفة البعيد عن الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي. وان هذا الرصيد المعرفي المستند الى منهجية علمية رصينة لا يقتصر في اطار الجامعة ومراحلها الدراسية، وانما يجب نقله الى واقع الناس وحياتهم من خلال ترجمته الى سلوك عملي للفرد من خلال تفعيل برامج التعليم المستمر وتكثيف دوراته التي تتسع لكل موظفي الدولة ومؤسساتها، عندئذ يتم التواصل الفعلي ما بين الجامعة والمجتمع.

- دور المؤسسات التعليمية الاهلية:

في الواقع، حتى عقد التسعينات من القرن الماضي لم يكن الا عدد قليل جدا من الدول العربية سمحت بفتح المدارس والمعاهد والجامعات الاهلية كانت لبنان من بين الدول العربية المشهورة بالتعليم الاهلي ، فان العراق قد سبق وان عرف التعليم الاهلي بمدارسه وكلياته وجامعاته (الجامعة المستنصرية بدأت جامعة اهلية— استثمارية)، الا انه قد تم الغاءه وارتباط كل مؤسسات التعليم الاهلي (الخاص) بوزارتي التربية والتعليم العالي في عام .

وفي السنوات الاخيرة من القرن العشرين اخذ التعليم الاهلي ينتشر في الدول العربية، ومن رياض الاطفال حتى التعليم الجامعي، وبدأت موجة (خصصة التعلي) بعد ان سرت موجة خصصة الاقتصاد والسياسة والثقافة في اطار تيار العولمة الذي فتح الابواب على مصراعيها بفضل التقدم التكنولوجي. فقد تم فتح وتأسيس الجامعات والمعاهد الاهلية ذات الاختصاصات المتنوعة، لا بل ان سماح عدد من الدول العربية للجامعات العالمية المشهورة ان تؤسس لها فروعا فيها سواء أكانت الاوروبية الأمريكية قد عزز من مسيرة التعليم الاهلية، وفسح المجال للتواصل الحضاري بين

الشعوب والثقافات، وان كان هناك من يرى في هذه الظاهرة موجة من الغزو الثقافي الاجنبي، حيث انه اذا ما تم وضع الضوابط الصحيحة والقواعد الخاصة بعمل هذه الكليات والجامعات ووضعها تحت رقابة الدولة المضيفة، فان فائدتها سيكون في صالح تطوير التعليم الجامعي والاستفادة من خبرات هذه الجامعات ورصانتها العلمية ومسيرتها الاكاديمية الطويلة في التحديث والتطوير لمؤسساتنا التعليمية، وليس منافس لها.

فالتعليم الاهلي وبكل مستوياته، وخصوصا التعليم العالي يمثل من جهته تجديدا في الساحة التعليمية والجامعية ،وجهدا مضافا في خدمة قضايا المجتمع وحل مشاكله.وفي الحقيقة، فانه على الرغم من السلبيات التي يمكن معالجتها من تأسيس الجامعات والمعاهد ذات الارتباطات الخارجية ، مثل الجامعات الامريكية والاوروبية، كما ذكرت، وغيرها، فانها افسحت المجال للتعرف على الآخر، ومنظومات قيمه وشكلت ميدانا لارساء ثقافة الحوار والتواصل مع الثقافات الاخرى وروح التفكير العلمي المنظم والمنهج.

فالجامعة هي الحاضن الاساس للفئة العمرية من الشباب التي تضع دائما على مفترق طرق صعبة مابين الاختلال الفكري وانحرافه من خلال مختلـ الاغراءات، وما بين الاستقامة واحترام الاخرين وحقوقهم، وتبني قيم التسامح كأساس للسلوك اليومي .

ولذلك فان اشاعة ثقافة الحوار من خلال مؤسسات التعليم الاهلي تكون من خلال اقرار المفردات الدراسية العامة التي تشدد على تعزيز هذه الثقافة كشرط من شروط التي يتطلبها منح اجازة فتح الكلية او الجامعة، وهذا ما اخذت به وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية عندما اشترطت في منحها اجازة التأسيس لرقابة على المفردات الدراسية وتوزيع الوحدات وساعاتها، وكذلك شرط ادخال مادتي حقوق الانسان والديمقراطية في مقررات التدريس لكل الاختصاصات وحتى للمجموعات الطبية والهندسية، والتي تدرس بالتعاقب في المرحلة الاولى والثانية كأية مادة من المواد الاخرى المقررة.

التوصيات:

- لما كان التعلم من الصغر كالنقش على الحجر، فانه من الضروري الانطلاق من رياض الأطفال، واعداد المناهج التثقيفية والاناشيد القصيرة وسريعة الحفظ من قبل الصغار التي تمجد الوطن والامة، وتزين جدران الصفوف بالملصقات التي توحي للطفل بالمحبة وحب الاخرين وتعليمه قيم التسامح والعفو عند ارتكاب أي خطأ او شجار مع زميله في الفصل (الصف)، وانتاج افلام كارتونية تعزز هذه النظرة التسامحية ومساعدة الاخرين، معززة بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة.
- أدخال معلمي رياض الاطفال والمعلمين والمدرسين في دورات وورش تدريبية، والاستفادة من التجارب العالمية المتميزة بتنوع ثقافي وطائفي في تشكيل اللجان الخاصة باعداد ملاكات متخصصة في نشر وتعزيز ثقافة الحوار ومن خلال مقررات محددة يتم تدريسها في هذه المستويات الدراسية والفئات العمرية.
- اعادة النظر بالمنظومة التربوية وتربية الطفل—لفرد على تجاوز الخجل او التأنيب، وتجنب غرس كراهية المخالفين في الدين والمذهب، وزرع الثقة في نفسه في الاعتذار من الخطأ، واطلاعه على التاريخ الانساني بكل سلبياته

وايجابياته. وتنقية المناهج التربوية والتعليمية من الارث التمييزي والتعصب ضد الآخر الديني والمذهبي.

- تفعيل دور مجالس الآباء والمعلمين، ووضع الخطط الميدانية لمراقبة السلو . الصفي والاسري للتلميذ والطالب، والاهتمام حاجات الطالب الفكرية والنفسية والاجتماعية والجسدية والاخلاقية. وتوفير الامكانيات لتعزيز الممارسات التعليمية الافضل من اجل تنمية روح طلابية عالية قادرة على التفاعل مع الثقافات الاخرى مع تعزيز المواطنة والتسامح وحوار الحضارات.
- تعزيز دور الاسرة في العملية التربوية، وتفعيل الهدف من البطاقة الشخصية للطالب وتأشير مواطن الخلل والانحراف في سلوكه بالتعاون ما بين المعلم المرشد ورب العائلة، الذي يجب ان يكون على اتصال بالمدرسة واطلاعه الشهري او الفصلي على ما يدون من ملاحظات بخصوص سلوك الطالب او التلميذ في صفحات هذه البطاقة.
- تفعيل دور منظمات المجتمع المدني في نشر وتعزيز ثقافة الحوار في المجتمع العراقي–وترسيخ ثقافة اللاعنف والتسامح والمواطنة وثقافة حقوق الانسان من خلال اقامة الندوات والورش التدريبية والحلقات النقاشية في النوادي الثقافية والمنتديات والقيام بحملات التوعية في الاحياء الشعبية التي استهدفها العنف الطائفي وكذلك بين الاسر التي تعرضت للتهجير القسري.
- قيام اتحاد الجامعات العربية باعداد منهاج خاص عن ثقافة الحوار وتعميمه على الجامعات العربية ، وعقد المؤتمرات المتخصصة في هاذا الاطار وبالتعاون مع الجامعات الاجنبية.
- عقد الاتفاقيات بين الجامعات العراقية والعربية والجامعات الاوروبية والامريكية والاسلامية تتضمن اقامة المعسكرات المشتركة للطلبة في الجامعات الاوروبية لتبادل الاراء والافكار، وعقد المنتديات والحلقات النقاشية لازالة الحواجز النفسية وسوء الفهم المسبق لدى كل طرف عن الاخر المختلف عنه لغويا وثقافيا ودينيا.
- تأسيس مراكز للابحاث الحوار الثقافي، على مستوى الجامعات والمعاهد ووضع الخطط الازمة لعملها في عقد الندوات والحلقات النقاشية واصدار

النشرات الدورية التي تعزز وترسيخ ثقافة الحوار مع الاخر، وتشدد على ترسيخ الوحدة الوطنية العراقية، وتلاحم النسيج الاجتماعي العراقي وصلابته من وحدة الدم واللغة والدين والتاريخ المشترك.

- تخصيص ساعات محددة في اسبوعيا، في القنوات التلفزيونية المحلية والفضائية، لعرض الافلام الوثائقية للحضارات والشعوب المختلفة وعاداتهم واحتفالاتهم التقليدية والدينية، وكذلك عن انماط الحياة والتعايش بين الشعوب المختلفة دينيا وثقافيا في دولة واحدة، وكيف استطاعت هذه الشعوب على الرغم من اختلافاتها ان تبني مجتمعا ينعم بالسلام الاجتماعي والاستقرار السياسي، وعرض تجاربها الطويلة والمأساوية احيانا قبل ان تصل الى هذا الوضع المستقر.
- اصدار التشريعات الوطنية التي تحظر التعصب الديني والمذهبي، وتشجيع ثقافة الحوار وحريات التعبير ، مع احترام الرأي والرأي الاخر، بدون اقصاء لاخر او تهميشه.
- العمل بكل الوسائل والامكانيات العربية على تصحيح الرؤية الخاطئة والسلبية التي تولدت لدى شعوب الغرب ودولها تجاه العرب والمسلمين نتيجة لظواهر التطرف والتعصب التي برزت عند فئات ضالة لتنظيمات وتيارات بريء عنها العرب والمسلمين.
- تبني القمم العربية السنوية، والمنظمات التابعة للجامعة العربية المختصة في الثقافة والعلوم والتربية، خطة شاملة للتربية والتعليم يتم من خلالها ترسيخ قيم الثقافة والتفاهم والحوار بين المذاهب والطوائف والثقافات، ولا سيما في الدول العربية التي شكلت منابع للجماعات المتطرفة والارهابية التكفيرية، والعمل على تجفيف هذه المنابع والحد من مخاطرها على المجتمعات العربية ، ومحارتها بكل الوسائل المتاحة لانها قدمت صورة مشوه عن الع والاسلام.
- انشاء المواقع الالكترونية على شبكة الانترنيت للمساهمة في نشر وتعزيز ثقافة الحوار وابراز الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد وتشدد على التنوع والاختلاف وتعدد الشعوب والامم كشيء طبيعي ومن

قدرة الخالق وحكمته في الخلق، ولا يدعو الى التعصب والتكفير والتطرف ولا حتى الى الاستعلاء والنظرة الدونية الى الآخرين.

- وبالتأكيد، ان هذه التوصيات يمكن ان تبقى مجرد آماني لباحث حاول تسليط الضوء على موضوع في غاية الاهمية في هذا الظرف بالذات، اذا لم تقم الحكومة من جانبها وكل مؤسسات الدولة، في تبني هذا الموضوع والعمل على ترجمة هذه التوصيات في ارض الواقع العراقي وتشريع القوانين اللازمة، والملزمة في نفس الوقت، لكي يعود المجتمع العراقي الى وضعه الطبيعي، الذي اعتاد التعايش في نسيج مترابط من المصاهرة والقيم المشتركة افرزت وحدة وطنية ومواطنة وهوية انتماء عراقية اصيلة بين كل مكوناته وتنوعه العرقي والطائفي والمذهبي، والاثني منذ قرون سحيقة.